٣

قصص من وحي الحديث الشريف



الغلام والراهب

بقلم
عبد الحميد عبد المقصود

رسوم
محمد حماد

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

زَمَان .. زَمَان ..

قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ) ..

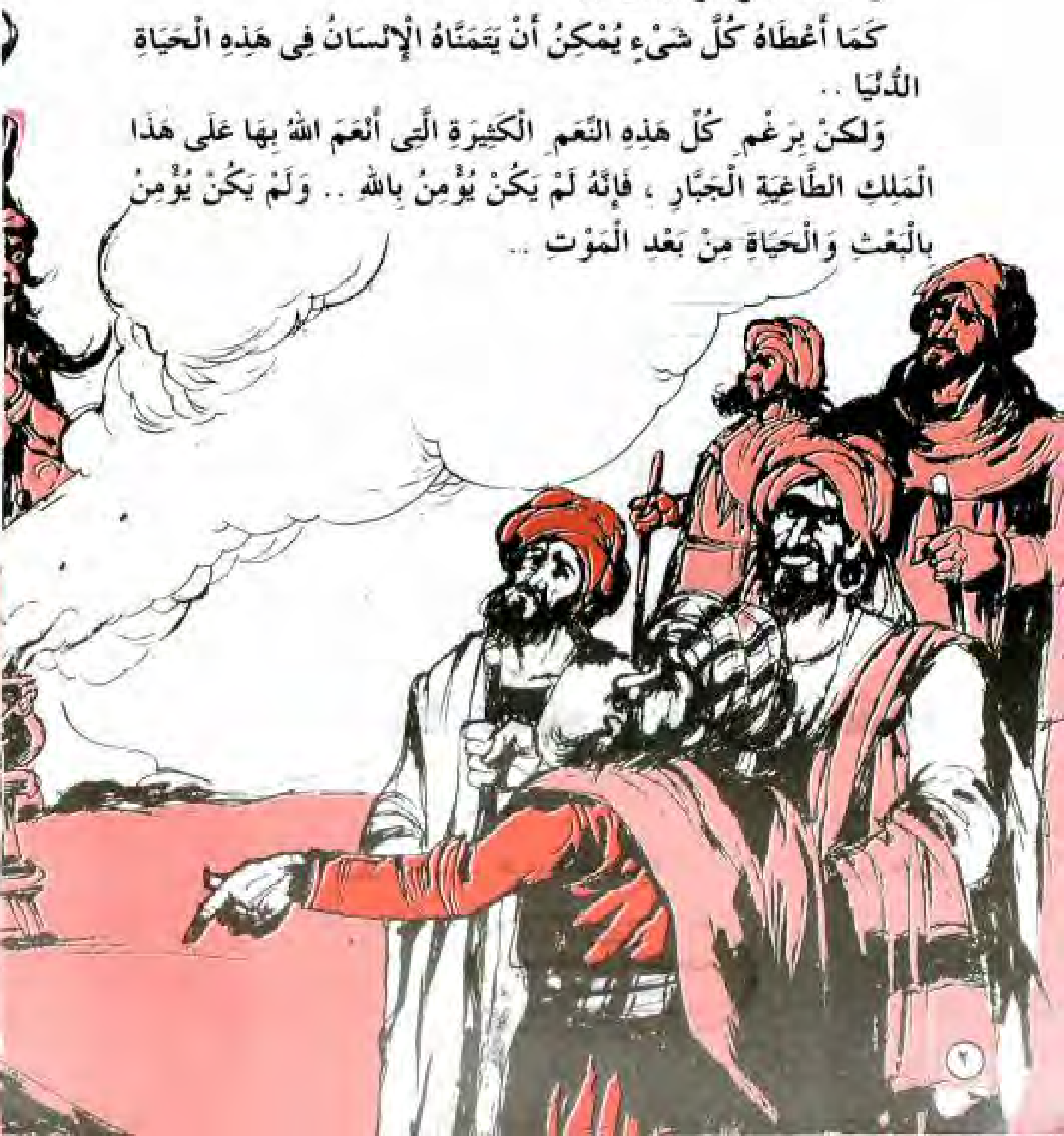
كَانَ يَعِيشُ مَلِكٌ ظَالِمٌ جَبَّارٌ كَافِرٌ ..

مَلِكٌ . أَعْطَاهُ اللهُ الْمَالَ وَالثَّرْوَةَ وَالْقُصُورَ وَالضِّيَاعَ ..

وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ وَالْمُلْكَ ..

كَمَا أَعْطَاهُ كُلَّ شَىْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَتَمَنَّاهُ الإِنْسَانُ فِى هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..

وَلكِنْ بِرَغْمِ كُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ الَّتِى أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَى هَذَا الْمَلِكِ الطَّاغِيَةِ الْجَبَّارِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ .. وَلَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَالْحَيَاةِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ..





لَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُ أَنَّ لِهَذَا الْكَوْنِ إِلَهًا وَاحِدًا ، هُوَ اللهُ الَّذِى خَلَقَ الْكَوْنَ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ ، مِنْ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ ، وَكَوَاكِبَ وَنُجُومٍ وَشُمُوسٍ وَأَقْمَارٍ وَبِحَارٍ وَأَنْهَارٍ ..

وَلَمْ يَكْتَفِ هَذَا الْكَافِرُ الظَّالِمُ فِى كُفْرِهِ وَظُلْمِهِ بِإِنْكَارِ وُجُودِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، بَلْ إِنَّهُ أَوْهَمَ النَّاسَ أَنَّهُ إِلَهُهُمَ الأَوْحَدُ ، وَرَبُّهُمُ الأَعْلَى ، الَّذِى يَمْلِكُ مَصَائِرَهُمْ وَأَقْدَارَهُمْ .. كَمَا أَوْهَمَ النَّاسَ أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِى يَتَحَكَّمُ فِى أَرْزَاقِهِمْ ، فَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْعَلَ بَعْضَهُمْ أَثْرِيَاءَ ، وَيَجْعَلَ الْبَعْضَ الآخَرَ فُقَرَاءَ ..

وَأَوْهَمَهُمْ أَيْضًا أَنَّ بِيَدِهِ هُوَ وَحْدَهُ أَنْ يُحْيِيَهُمْ أَوْ يُمِيتَهُمْ ..

قَالَ لَهُمْ : أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ، وَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ تَعْبُدُونِى أَنَا وَحْدِى دُونَ سِوَاىَ ، وَإِلَّا عَذَّبْتُكُمْ وَقَتَلْتُكُمْ ..

وَأَطَاعَ النَّاسُ مَلِكَهُمُ الْكَافِرَ الْجَبَّارَ مَقْهُورِينَ أَذِلَّاءَ صَاغِرِينَ .. فَكَانُوا يَرْكَعُونَ أَمَامَهُ خَوْفًا مِنْ بَطْشِهِ وَانْتِقَامِهِ ..

وَكُلُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ رَفَضُوا الْخُضُوعَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ عَذَّبَهُمْ وَحَرَقَهُمْ بِالنِّيرَانِ حَتَّى مَاتُوا ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَجْرُؤُ عَلَى إِعْلَانِ إِيمَانِهِ أَمَامَ الْمَلِكِ الْكَافِرِ ، خَوْفًا مِنْ بَطْشِهِ وَجَبَرُوتِهِ ..

وَكَانَ لِهَذَا الْمَلِكِ سَاحِرٌ شِرِّيرٌ ..

كَانَ السَّاحِرُ كَافِرًا مِثْلَ الْمَلِكِ ..

وَكَانَ الْمَلِكُ يَطْلُبُ مِنَ السَّاحِرِ أَنْ يَقُومَ بِأَلْعَابِهِ السِّحْرِيَّةِ أَمَامَ قَوْمِهِ لِيُوهِمَهُمْ أَنَّ الْمَلِكَ هُوَ رَبُّهُمُ الأَعْلَى الَّذِى يَقُومُ بِفِعْلِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الْعَجِيبَةِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ..

كَانَ السَّاحِرُ يَجْعَلُ الأَشْيَاءَ تَتَحَرَّكُ وَتَجْرِى وَتَتَكَلَّمُ أَمَامَ النَّاسِ ،

وَكَانَ النَّاسُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمَلِكَ هُوَ الَّذِى يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ دُونَ سِوَاهُ ..

وَكَانَ الْمَلِكُ يَأْمُرُ السَّاحِرَ أَنْ يُوقِعَ الأَذَى وَالضَّرَرَ عَنْ طَرِيقِ سِحْرِهِ بِبَعْضِ النَّاسِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَ الْمَلِكِ .. وَكَانَ السَّاحِرُ يُنَفِّذُ أَمْرَ الْمَلِكِ ، فَيُصِيبُ الْمُخَالِفِينَ لِلْمَلِكِ بِالْعِلَلِ وَالأَمْرَاضِ ، الَّتِى تُؤَدِّى بِهِمْ أَحْيَانًا إِلَى الْمَوْتِ .. وَكَانَ النَّاسُ يَرَوْنَ ذَلِكَ ، فَيَزْدَادُ خَوفُهُم مِنَ الْمَلِكِ وَخُضُوعُهُمْ لَهُ ..

وَمَضَتْ سَنَوَاتٌ طَوِيلَةٌ كَبِرَ خِلالَهَا السَّاحِرُ الشِّرِّيرُ فِى السِّنِّ ، وَصَارَ عَجُوزًا غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْعَمَلِ كَمَا كَانَ فِى شَبَابِهِ ..

وَذَاتَ صَبَاحٍ ذَهَبَ السَّاحِرُ الْعَجُوزُ إِلَى الْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ :

لَقَدْ كَبِرْتُ فِى السِّنِّ ، وَأَشْعُرُ بِاقْتِرَابِ أَجَلِى .. أَخْشَى أَنْ أَمُوتَ ، وَلا يَكُونُ لَكَ سَاحِرٌ مِنْ بَعْدِى ..

فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ :

وَمَاذَا تَرَى أَيُّهَا السَّاحِرُ ..؟

فَأَجَابَ السَّاحِرُ :

أَرَى يَا مَوْلاَىَ أَنْ تُحْضِرَ لِى غُلامًا مِنْ رَعِيَّتِكَ أُعَلِّمُهُ السِّحْرَ ، حَتَّى إِذَا مُتُّ أَنَا ، حَلَّ مَكَانِى ، وَنَفَعَكَ بِسِحْرِهِ ..

فَضَحِكَ الْمَلِكُ وَقَالَ :

حَسَنًا فَعَلْتَ أَيُّهَا السَّاحِرُ .. غَدًا أُرْسِلُ لَكَ الْغُلامَ الَّذِى طَلَبْتَ لِتُعَلِّمَهُ كُلَّ فُنُونِ السِّحْرِ الَّتِى أَنْتَ بَارِعٌ فِيهَا ..

وَقَعَ اخْتِيَارُ الْمَلِكِ عَلَى غُلامٍ مِنْ أَذْكَى غِلْمَانِ الْمَدِينَةِ ، فَأَحْضَرَهُ أَمَامَهُ وَقَالَ لَهُ :

مُنْذُ الْآنَ سَوْفَ تَذْهَبُ إِلَى السَّاحِرِ لِتَتَلَقَّى عَنْهُ دُرُوسًا فِي فُنُونِ السِّحْرِ .. أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَعِي كُلَّ حَرْفٍ يُلَقِّنُهُ لَكَ السَّاحِرُ ، لِتُتْقِنَ هَذِهِ الْمِهْنَةَ فِي أَقْصَرِ وَقْتٍ مُمْكِنٍ ..

أَطَاعَ الْغُلَامُ كَلَامَ الْمَلِكِ ، وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى السَّاحِرِ ، فَبَدَأَ السَّاحِرُ فِي تَعْلِيمِهِ فُنُونَ السِّحْرِ .. وَأَصْبَحَ الْغُلَامُ يُوَاظِبُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى السَّاحِرِ كُلَّ يَوْمٍ ، لِيَتَلَقَّى الدُّرُوسَ .. ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَهْلِهِ فِي الْمَسَاءِ ..

* * *

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ الْغُلَامُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى السَّاحِرِ ، فَشَاهَدَ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ خَيْمَةً .. تَوَقَّفَ الْغُلَامُ نَاظِرًا إِلَى الْخَيْمَةِ فِي تَعَجُّبٍ ..

وَكَانَ يَعِيشُ دَاخِلَ الْخَيْمَةِ رَاهِبٌ ، يَعْبُدُ اللهَ عَلَى دِينِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ ..

اقْتَرَبَ الْغُلَامُ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ ، وَرَأَى الرَّاهِبَ فِي أَثْنَاءِ صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ لِلهِ تَعَالَى ، فَتَعَجَّبَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي يَسْمَعُهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ..

انْتَهَى الرَّاهِبُ مِنْ صَلَاتِهِ ، فَسَأَلَهُ الْغُلَامُ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ وَيَقُولُهُ فِي صَلَاتِهِ .. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ :

إِنَّنِي أَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى ..

فَتَعَجَّبَ الْغُلَامُ وَسَأَلَهُ :

هَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ يُمْكِنُ أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ غَيْرُ الْمَلِكِ ؟

فَأَجَابَهُ الرَّاهِبُ فِي خُشُوعٍ :

الْمَلِكُ إِنْسَانٌ مِثْلِي وَمِثْلُكَ يَا بُنَيَّ .. كَيْفَ يَعْبُدُ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا مِثْلَهُ ، وَيَنْسَى خَالِقَهُ وَرَازِقَهُ ، وَمُحْيِيَهُ وَمُمِيتَهُ وَبَاعِثَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ



لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ ؟ إِنَّ الَّذِى يَجِبُ أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ ، وَالشُّكْرِ وَالدُّعَاءِ ، هُوَ اللهُ يَا بُنَىَّ ، رَبُّ النَّاسِ جَمِيعًا ..

وَظَلَّ الرَّاهِبُ يُحَدِّثُ الْغُلَامَ عَنِ الْإِيمَانِ ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ، حَتَّى عَرَفَ الْغُلَامُ أَنَّ الْمَلِكَ وَالسَّاحِرَ كَافِرَانِ ، وَأَنَّهُمَا مِنَ الَّذِينَ يُعَذِّبُهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..

وَاتَّفَقَ الْغُلَامُ أَنْ يَمُرَّ عَلَى الرَّاهِبِ فِى خَيْمَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَهُوَ فِى طَرِيقِهِ إِلَى السَّاحِرِ ، لِيُعَلِّمَهُ أُمُورَ الدِّينِ ، وَعِبَادَةَ اللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ..

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَصْبَحَ الْغُلَامُ يُوَاظِبُ عَلَى الْحُضُورِ إِلَى خَيْمَةِ الرَّاهِبِ الْمُؤْمِنِ ، فَيُصَلِّى مَعَهُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ يَجْلِسُ إِلَيْهِ لِيُعَلِّمَهُ أُمُورَ الدِّينِ ، وَعِبَادَةَ التَّوْحِيدِ ..

وَبَعْدَ أَنْ يَنْتَهِىَ مِنْ صَلَاتِهِ يَذْهَبُ إِلَى السَّاحِرِ ، لِيَتَلَقَّى مِنْهُ دُرُوسَ السِّحْرِ ..

وَبِمُرُورِ الْوَقْتِ لَاحَظَ السَّاحِرُ ، أَنَّ الْغُلَامَ أَصْبَحَ يَتَأَخَّرُ فِى الْحُضُورِ إِلَيْهِ ، وَفِى بَعْضِ الْأَيَّامِ أَصْبَحَ يَتَغَيَّبُ عَنْ حُضُورِ الدَّرْسِ ..

وَصَارَ السَّاحِرُ كُلَّمَا جَاءَهُ الْغُلَامُ مُتَأَخِّرًا عَنْ مَوْعِدِهِ ، يَضْرِبُهُ وَيُعَنِّفُهُ وَيَجْلِدُهُ ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِهِ عَنِ الْحُضُورِ فِى مَوْعِدِهِ ..

وَلَكِنَّ الْغُلَامَ لَمْ يَبُحْ لَهُ بِأَمْرِ الرَّاهِبِ ..

وَإِذَا عَادَ الْغُلَامُ إِلَى الْبَيْتِ ضَرَبَهُ أَهْلُهُ ، وَسَأَلُوهُ عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِهِ .. وَلَكِنَّ الْغُلَامَ لَمْ يَبُحْ لَهُمْ بِأَمْرِ الرَّاهِبِ أَبَدًا ..

وَلَمَّا اشْتَدَّ تَعْذِيبُ السَّاحِرِ لِلْغُلَامِ ، ذَهَبَ إِلَى الرَّاهِبِ ، وَاشْتَكَى لَهُ ، فَنَصَحَهُ الرَّاهِبُ بِقَوْلِهِ :



إِذَا أَرَادَ السَّاحِرُ أَنْ يَضْرِبَكَ بِسَبَبِ تَأَخُّرِكَ عَنِ الْحُضُورِ إِلَيْهِ ، فَقُلْ لَهُ : أَخَّرَنِى أَهْلِى عَنِ الْحُضُورِ إِلَيْكَ .. وَإِذَا أَرَادَ أَهْلُكَ أَنْ يَضْرِبُوكَ ، فَقُلْ لَهُمْ أَخَّرَنِى السَّاحِرُ عَنِ الْحُضُورِ إِلَى الْبَيْتِ ..

فَعَمِلَ الْغُلَامُ بِنَصِيحَةِ الرَّاهِبِ ، وَصَارَ يَقْضِى وَقْتًا طَوِيلًا مَعَ الرَّاهِبِ لِيَتَلَقَّى عَلَى يَدَيْهِ أُمُورَ الدِّينِ .. ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَى السَّاحِرِ مُتَأَخِّرًا ، فَإِذَا هَمَّ أَنْ يَضْرِبَهُ ، قَالَ لَهُ :

لَا تَضْرِبْنِى .. كُنْتُ آتِيًا إِلَيْكَ مُبَكِّرًا ، فَأَخَّرَنِى أَهْلِى عَنِ الْحُضُورِ إِلَيْكَ ..

فَيُسَامِحُهُ السَّاحِرُ .. وَإِذَا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ مُتَأَخِّرًا ، وَهَمَّ أَهْلُهُ أَنْ يَضْرِبُوهُ ، قَالَ لَهُمْ :

لَا ذَنْبَ لِى فِى التَّأْخِيرِ .. لَقَدْ أَخَّرَنِى السَّاحِرُ عَنِ الْحُضُورِ إِلَى الْبَيْتِ فِى مَوْعِدِى ..

وَهَكَذَا نَجَا الْغُلَامُ مِنْ ضَرْبِ أَهْلِهِ ، أَوْ تَعْذِيبِ السَّاحِرِ لَهُ ..

★ ★ ★

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ الْغُلَامُ عَائِدًا مِنْ عِنْدِ السَّاحِرِ ، فَرَأَى شَيْئًا عَجِيبًا .. رَأَى دَابَّةً هَائِلَةَ الْحَجْمِ ، فَظِيعَةَ الْمَنْظَرِ ، مُخِيفَةً فِى شَكْلِهَا كَأَنَّهَا وَحْشٌ مُفْتَرِسٌ .. كَانَتِ الدَّابَّةُ الْفَظِيعَةُ تَقِفُ فِى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّى إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ ، وَتَسُدُّهُ بِجِسْمِهَا الضَّخْمِ ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِفَزَعٍ ، دُونَ أَنْ يَسْتَطِيعُوا الِاقْتِرَابَ مِنْهَا لِلْعُبُورِ إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ .. فَإِذَا حَاوَلَ أَحَدٌ الْمُرُورَ بِجِوَارِ الدَّابَّةِ الْتَهَمَتْهُ ..

رَأَى الْغُلَامُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ الْمُخِيفَ ، فَفَكَّرَ فِى نَفْسِهِ قَائِلًا :

الْآنَ أَعْرِفُ إِذَا كَانَ السَّاحِرُ أَحَبَّ إِلَى اللهِ ، أَمِ الرَّاهِبُ .. ثُمَّ الْتَقَطَ الْغُلَامُ حَجَرًا فِي يَدِهِ ، وَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ قَائِلًا :



اللَّهُمَّ إنْ كَانَ أمْرُ الرَّاهِبِ (يَقْصِدُ دِينَ الرَّاهِبِ) أحبَّ إلَيْكَ وَأرْضَى مِنْ أمْرِ السَّاحِرِ (يَقْصِدُ عَمَلَ السَّاحِرِ) فَاقْتُلْ هذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمُرَّ النَّاسُ ..



ثُمَّ رَمَى الْغُلَامُ الدَّابَّةَ بِالْحَجَرِ فَقَتَلَهَا فِي لَحْظَتِهَا ؛ فَمَرَّ النَّاسُ إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ ؛ وَعَرَفَ الْغُلَامُ أَنَّ الرَّاهِبَ عَلَى الْحَقِّ ، وَأَنَّ عَمَلَهُ مَحْمُودٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى .. شَكَرَ الْغُلَامُ رَبَّهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الرَّاهِبِ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ مَا حَدَثَ .. فَتَعَجَّبَ الرَّاهِبُ ، وَقَالَ لِلْغُلَامِ :

اسْمَعْ يَا بُنَيَّ .. أَنْتَ الْآنَ أَفْضَلُ مِنِّي عِنْدَ اللهِ تَعَالَى .. لَقَدْ بَلَغْتَ مَنْزِلَةً رَفِيعَةً فِي الْإِيمَانِ لَمْ أَبْلُغْهَا أَنَا نَفْسِي ، وَأَنَا أَعْبُدُ اللهَ مُنْذُ عَشَرَاتِ السِّنِينَ ..

فَقَالَ الْغُلَامُ :

الْفَضْلُ فِي ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَيْكَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي .. أَنْتَ الَّذِي أَخَذْتَ بِيَدِي ، وَهَدَيْتَنِي إِلَى طَرِيقِ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ بِاللهِ ..



فَقَالَ الرَّاهِبُ :

بَلِ الْفَضْلُ لِلهِ يَا بُنَيَّ .. هُوَ وَحْدَهُ الَّذِى يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ..

ثُمَّ أَضَافَ الرَّاهِبُ فِى حُزْنٍ :

اسْمَعْ يَا بُنَىَّ .. إِنَّكَ سَوْفَ تَتَعَرَّضُ لِمِحْنَةٍ كَبِيرَةٍ وَابْتِلَاءٍ عَظِيمٍ عَلَى يَدَىْ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْكَافِرِ الطَّاغِيَةِ ، عِنْدَمَا يَتَكَشَّفُ أَمْرُ إِيمَانِكَ بِاللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، فَإِذَا حَدَثَ لَكَ ذَلِكَ .. يَا بُنَىَّ ، وَسَأَلَكَ الْمَلِكُ عَمَّنْ هَدَاكَ إِلَى طَرِيقِ الْإِيمَانِ ، فَلَا تَدُلَّهُ عَلَى طَرِيقِى ، وَلَا تَذْكُرِ اسْمِى عِنْدَهُ ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْغُلَامُ :

لَكَ مَا تَشَاءُ يَا سَيِّدِى .. إِذَا حَدَثَ ذَلِكَ ، فَلَنْ أَدُلَّ الْمَلِكَ أَوْ أَعْوَانَهُ عَلَى مَكَانِكَ ..

فَتَبَسَّمَ الرَّاهِبُ ، وَقَالَ لِلْغُلَامِ :

مُنْذُ الْآنَ يَا بُنَىَّ سَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ عَظِيمٌ ، وَسَتَرْتَفِعُ مَكَانَتُكَ عِنْدَ النَّاسِ ، وَتَكُونُ سَبَبًا فِى هِدَايَةِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْهُمْ إِلَى دِينِ اللهِ ..

تَعَجَّبَ الْغُلَامُ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَضَافَ الرَّاهِبُ :

وَلَنْ يَقْتَصِرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، بَلْ إِنَّ اللهَ سَوْفَ يَمْنَحُكَ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ تَشْفِىَ النَّاسَ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ بِإِذْنِهِ سُبْحَانَهُ ..

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ صَارَ الْغُلَامُ الْمُؤْمِنُ يُعَالِجُ النَّاسَ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ الْمُسْتَعْصِيَةِ ، وَالَّتِى يَحَارُ فِيهَا الْأَطِبَّاءُ وَالْحُكَمَاءُ ، وَيَشْفِيهَا بِإِذْنِ اللهِ .. أَصْبَحَ الْغُلَامُ يَسْتَطِيعُ بِقُدْرَةِ اللهِ أَنْ يَجْعَلَ الضَّرِيرَ يَرَى ، وَالْأَخْرَسَ يَتَكَلَّمُ ، وَالْأَصَمَّ يَسْمَعُ ، وَالْأَبْرَصَ يُشْفَى مِنْ مَرَضِهِ .. حَتَّى ذَاعَتْ شُهْرَةُ الْغُلَامِ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ النَّاسِ ..

* * *

وَذَاتَ يَوْمٍ سَمِعَ أَحَدُ جُلَسَاءِ الْمَلِكِ عَنِ الْغُلَامِ ، وَمَا يَقُومُ بِهِ مِنْ شِفَاءِ النَّاسِ .. وَكَانَ هَذَا الْجَلِيسُ ضَرِيرًا ، فَقَالَ : أَذْهَبُ لِلْغُلَامِ رُبَّمَا شَفَانِي مِنَ الْعَمَى ..

حَمَلَ جَلِيسُ الْمَلِكِ هَدَايَا كَثِيرَةً وَذَهَبَ إِلَى الْغُلَامِ ، فَوَضَعَ الْهَدَايَا أَمَامَهُ ، وَقَالَ لَهُ :

خُذْ كُلَّ هَذِهِ الْهَدَايَا الثَّمِينَةَ لَكَ ، وَاشْفِنِي مِنَ الْعَمَى .. فَرَدَّ عَلَيْهِ الْغُلَامُ :

أَنَا لَا أَشْفِي أَحَدًا ، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يَشْفِي مَنْ يَشَاءُ .. فَإِنْ آمَنْتَ بِاللهِ ، وَدَعَوْتَ اللهَ شَفَاكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ ..

فَأَعْلَنَ جَلِيسُ الْمَلِكِ إِيمَانَهُ بِاللهِ .. ثُمَّ دَعَا اللهَ أَنْ يَشْفِيَهُ فَشَفَاهُ اللهُ فِي الْحَالِ ، وَصَارَ يَرَى كُلَّ شَيْءٍ بِعَيْنَيْهِ ..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ جَلِيسُ الْمَلِكِ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ ، وَجَلَسَ فِي مَجْلِسِ الْمَلِكِ كَعَادَتِهِ ، فَرَآهُ الْمَلِكُ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ شُفِيَ مِنَ الْعَمَى وَأَصْبَحَ يَرَى .. فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ ، وَسَأَلَهُ :



يَا فُلَانُ .. مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟

فَأَجَابَ جَلِيسُ الْمَلِكِ :

رَبِّي هُوَ الَّذِي رَدَّ إِلَيَّ بَصَرِي ..

فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ وَقَالَ :

أَنَا الَّذِي رَدَدْتُ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟

فَقَالَ الْجَلِيسُ :

لَا .. بَلْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ .

فَغَضِبَ الْمَلِكُ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ :

هَلْ لَكَ رَبٌّ غَيْرِى ؟ فَأَجَابَ الْجَلِيسُ :
نَعَمْ .. رَبِّى وَرَبُّكَ اللهُ ..
فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَثَارَ ثَوْرَةً شَدِيدَةً ، وَسَأَلَ الْجَلِيسَ :
مَنِ الَّذِى عَلَّمَكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا الْكَلَامَ ؟.

رَفَضَ الْجَلِيسُ أَنْ يَبُوحَ لِلْمَلِكِ بِاسْمِ الْغُلَامِ الَّذِى هَدَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ .. فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَعْوَانَهُ أَنْ يُعَذِّبُوا الْجَلِيسَ عَذَابًا شَدِيدًا .. فَاسْتَمَرَّ أَعْوَانُ الْمَلِكِ وَجُنُودُهُ يُعَذِّبُونَ الْجَلِيسَ ، حَتَّى دَلَّهُمْ عَلَى الْغُلَامِ ..

أَصْدَرَ الْمَلِكُ أَوَامِرَهُ بِالْقَبْضِ عَلَى الْغُلَامِ وَإِحْضَارِهِ ، فَسَارَعَ أَعْوَانُ الْمَلِكِ وَجُنُودُهُ بِالْقَبْضِ عَلَى الْغُلَامِ وَإِحْضَارِهِ مُكَبَّلًا بِالْقُيُودِ ..

وَقَفَ الْغُلَامُ أَمَامَ الْمَلِكِ ، فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ :

هَلْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ أَصْبَحْتَ قَادِرًا عَلَى شِفَاءِ النَّاسِ مِنْ أَمْرَاضِهِمُ الْخَطِيرَةِ ، الَّتِى يَعْجِزُ الْأَطِبَّاءُ وَالْحُكَمَاءُ عَنْ شِفَائِهَا ؟.

فَقَالَ الْغُلَامُ :

أَنَا لَا أَشْفِى أَحَدًا ، وَلَكِنَّ الَّذِى يَشْفِى هُوَ رَبِّى ..

فَقَالَ الْمَلِكُ : أَنَا .. ؟ فَأَجَابَ الْغُلَامُ :
لَا .. بَلْ رَبِّى وَرَبُّكَ اللهُ .. فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ وَقَالَ :
هَلْ تَعْرِفُ لَكَ رَبًّا غَيْرِى ؟. فَأَجَابَ الْغُلَامُ :
نَعَمْ .. رَبِّى وَرَبُّكَ اللهُ ..

فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَثَارَ وَأَمَرَ رِجَالَهُ بِتَعْذِيبِ الْغُلَامِ ، حَتَّى يَدُلَّهُمْ عَلَى الشَّخْصِ الَّذِى هَدَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِإِلَهٍ آخَرَ غَيْرِ الْمَلِكِ .. وَمِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ الَّذِى تَعَرَّضَ لَهُ الْغُلَامُ ، دَلَّهُمْ عَلَى الرَّاهِبِ ، فَسَارَعَ



رِجَالُ الْمَلِكِ بِإِحْضَارِ الرَّاهِبِ مِنْ صَوْمَعَتِهِ الَّتِى يَتَعَبَّدُ فِيهَا لِلهِ تَعَالَى ..

مَثَلَ الرَّاهِبُ أَمَامَ الْمَلِكِ مُكَبَّلًا بِالأَغْلَالِ ، فَقَالَ الْمَلِكُ :

ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، وَلَا تَتَّخِذْ لَكَ إِلَهًا غَيْرِى وَإِلَّا قَتَلْتُكَ شَرَّ قِتْلَةٍ ..

فَرَفَضَ الرَّاهِبُ فِى إِصْرَارٍ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ ، وَيَكْفُرَ بِاللهِ تَعَالَى ، حَتَّى وَلَوْ دَفَعَ حَيَاتَهُ ثَمَنًا لِذَلِكَ .. فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَتْلِ الرَّاهِبِ والتَّمْثِيلِ بِجُثَّتِهِ ، فَقَتَلُوهُ فِى الْحَالِ ..

ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِجَلِيسِهِ :

لَقَدْ رَأَيْتَ مَا صَنَعْنَا بِالرَّاهِبِ .. ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، وَإِلَّا قَتَلْتُكَ مِثْلَهُ ..



فَرَفَضَ جَلِيسُ الْمَلِكِ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ ، بِرَغْمِ عِلْمِهِ بِالْمَصِيرِ الَّذِى يَنْتَظِرُهُ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَتْلِهِ ، فَفَعَلُوا بِهِ مِثْلَمَا فَعَلُوا بِالرَّاهِبِ .. ثُمَّ وَجَّهَ الْمَلِكُ حَدِيثَهُ لِلْغُلَامِ قَائِلًا :

ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، وَلَا تَتَّخِذْ لَكَ إِلَهًا غَيْرِى ، حَتَّى لَا يَحِلَّ بِكَ مِثْلَمَا حَلَّ بِهِمَا مِنَ الْمَوْتِ وَالْعَذَابِ ..

فَرَفَضَ الْغُلَامُ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ جُنُودَهُ بِقَوْلِهِ :

خُذُوا هَذَا الْغُلَامَ ، وَاصْعَدُوا بِهِ إِلَى أَعْلَى قِمَّةٍ فِى الْجَبَلِ ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ ، فَعُودُوا بِهِ حَيًّا ، وَإِنْ رَفَضَ فَدَحْرِجُوهُ مِنْ فَوْقِ قِمَّةِ الْجَبَلِ ، وَاتْرُكُوهُ لِيَتَمَزَّقَ جَسَدُهُ ..



حَمَلَ جُنُودُ الْمَلِكِ الْغُلَامَ ، وَصَعَدُوا بِهِ إِلَى أَعْلَى قِمَّةٍ فِيهِ ، فَدَعَا الْغُلَامُ رَبَّهُ قَائِلًا :

اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ وَاكْفِنِي شَرَّهُمْ وَشَرَّ فِتْنَتِهِمْ لِي فِي دِينِي ..

فَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى دُعَاءَ الْغُلَامِ الْمُؤْمِنِ ، فَتَزَلْزَلَ الْجَبَلُ بِشِدَّةٍ ، وَسَقَطَ جُنُودُ الْمَلِكِ مُتَدَحْرِجِينَ ، وَمَاتُوا جَمِيعًا ..

وَذَهَبَ الْغُلَامُ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ الظَّالِمِ ، فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ عَنْ جُنُودِهِ ، فَقَالَ الْغُلَامُ :

لَقَدْ نَجَّانِي اللهُ مِنْهُمْ .. وَقَضَى عَلَيْهِمْ جَمِيعًا ..

فَغَضِبَ الْمَلِكُ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَأَمَرَ جُنُودًا آخَرِينَ أَنْ يَأْخُذُوا الْغُلَامَ إِلَى الْبَحْرِ ، وَيَطُوفُوا بِهِ فِي مَرْكَبٍ ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ عَادُوا بِهِ ، وَإِنْ رَفَضَ أَغْرَقُوهُ ..



نَفَّذَ الْجُنُودُ أَمْرَ الْمَلِكِ ، فَحَمَلُوا الْغُلَامَ إِلَى الْبَحْرِ ، وَطَافُوا بِهِ فِي مَرْكَبٍ فَدَعَا الْغُلَامُ رَبَّهُ قَائِلًا :

اللَّهُمَّ نَجِّنِي مِنْهُمْ ، بِمَا شِئْتَ ..

فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَ الْغُلَامِ الْمُؤْمِنِ ، فَأَغْرَقَهُمْ جَمِيعًا وَنَجَّى الْغُلَامَ .. فَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا رَآهُ سَأَلَهُ عَنْ جُنُودِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ :

لَقَدْ نَجَّانِي اللهُ مِنْ بَطْشِهِمْ ، وَأَغْرَقَهُمْ جَمِيعًا ..

فَغَضِبَ الْمَلِكُ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَتَسَاءَلَ :

كَيْفَ أَقْتُلُكَ أَيُّهَا الْغُلَامُ ؟ كَيْفَ أَقْتُلُكَ ؟. كَيْفَ ؟.

فَضَحِكَ الْغُلَامُ وَقَالَ لِلْمَلِكِ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلِي ، حَتَّى تَفْعَلَ كُلَّ مَا آمُرُكَ بِهِ .. فَقَالَ الْمَلِكُ : وَبِمَاذَا تَأْمُرُنِي أَيُّهَا الْغُلَامُ ؟.

فَقَالَ الْغُلَامُ :

تَجْمَعُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ تَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ ، وَتَأْخُذُ سَهْمًا مِنْ جُعْبَةِ سِهَامِي .. ثُمَّ تُصَوِّبُهُ نَحْوِي ، وَأَنْتَ تَقُولُ : بِسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي ..





فَجَمَعَ الْمَلِكُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي مَمْلَكَتِهِ فِي الْخَلَاءِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ .. ثُمَّ رَبَطَ الْغُلَامَ عَلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ .. ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ جُعْبَةِ الْغُلَامِ ، وَصَوَّبَهُ نَحْوَ الْغُلَامِ ، وَهُوَ يُرَدِّدُ : بِسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ .. فَأَصَابَ السَّهْمُ صُدْغَ الْغُلَامِ ، فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ وَمَاتَ فِي الْحَالِ ..

فَرَدَّدَ جَمِيعُ النَّاسِ فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ :

آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ .. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ..

فَغَضِبَ الْمَلِكُ مِنْ إِيمَانِ النَّاسِ جَمِيعًا بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَمَرَ جُنُودَهُ وَأَعْوَانَهُ أَنْ يَحْفُرُوا حُفَرًا عَمِيقَةً فِي الْأَرْضِ ، وَأَنْ يُشْعِلُوا فِيهَا النِّيرَانَ ، وَأَنْ يُلْقُوا فِيهَا كُلَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ..





حَفَرَ جُنُودُ الْمَلِكِ وَأَعْوَانُهُ حُفَرًا كَثِيرَةً فِي الْأَرْضِ ، وَمَلَئُوهَا بِالْأَخْشَابِ ، ثُمَّ أَشْعَلُوهَا ، وَأَخَذُوا يَأْتُونَ بِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْحَاءِ الْمَمْلَكَةِ ، وَيُلْقُونَهُمْ فِي النِّيرَانِ ، حَتَّى أَحْرَقُوا جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَرُدُّوهُمْ عَنْ إِيمَانِهِم بِاللهِ ..

(تَمَّتْ)

رقم الايداع : ٣٤٠٥

الرقم الدولي : ١ — ٢٣٦ — ٢٦٦ — ٩٧٧